

من حياة الربيف

فصلك

أقصوصة مصغرة
بقلم الأديب السيد محمد الغزوي

كان يظن أني غافل عن كل هذا ، لأنني كنت مندفعاً اندفاعاً لا يسمح لأحد بالتمتع بشيء مما كان يرى . ولكن سراني الطريق كانت تشير في ذهني ذكريات النزه الشائقة والليالي القمرية ، والقرويات الحسان ؛ وصيد السمك ، وقصص الطير وحمدان وهندوان .

وانعطفت إلى اليسار ، فقد بلغت حنية النهر ، بعد ما ندى العرق جبينى ، وتلفت حولي لأرى الزورق فينتقلني إلى الشاطئ الآخر حيث تقوم دار صديقي وقفزت في الزورق الراسي إلى الشاطئ ، ولكن ... أين الم حمدان ؟ وتلفت حولي — مرة أخرى — مندهشاً لأرى عم حمدان ... فلم أراه ! ولم أر أحداً حولي إلا فتى في ظل توتة ، ينسج طاقية من الصوف وهو يفتي . وزادت دهشتي وحيرتي ، فأنما أعلم أن الم حمدان لم يكن ليفارق زورقه طوال يومه ؛ بل كان يسير به في عرض النهر ؛ إما حاملاً الناس إلى الشاطئ الثاني من النهر ، أو متصيداً السمك . ولم أراه طوال إقامتي في العام الماضي — لدى صديقي — يتركه أبداً ... فكيف ترك زورقه اليوم ؟ !

ولعل الفتى الناسج الشاذي رأى حيرتي وتلفتني فهب إلى مسرعاً خفيفاً ، وقفز إلى الزورق مبتسماً وممتدراً . فقلت له بعد أن رددت التحية :

— فأين إذن الم حمدان ؟

فهر الفتى رأسه وتعم :

— أظنه هو الذي كان يعمل في هذا الزورق

قبلي ، إنني أعمل هنا منذ ثلاثة أشهر يا سيدي

كانت الشمس تبحج للغيب حين جاوزت قرية (د.د.) مندفعاً في الطريق الزراعي إلى مدينة (ب.ب.) ، وكانت الطبيعة ساكنة إلا من خوار بقرة بعيدة ، أو زقزقة عصفور . وكان الهواء يهب رخياً هنيئاً ، فيداعب عيدان النورة الخضراء الممتدة في النيطان من حولي إلى أقصى الأفق . وكانت الظلال وادعة لا يحرك منها إلا تنقل الطير على أفنان الأشجار المورقة ، وكانت هذه تقوم على جانبي الطريق ، وتتكاثف في الجانب الأيسر ، فكانت تحجب عني النهر في معظم الأحيان . على أنني كنت أستطيع أن أرى أشعة السفن البيضاء تجري في صفحة الأفق القريب ، وكنت أرى الشمس حين تسمح لي بذلك فروج الشجر قد ذهب حواشيه فأنبهه بصري حتى يغيب وراء الشجر المتكاثف ، أو ينتهي بي البصر ، حتى يتعطف النهر فلا أراه !

كانت هذه المناظر تتوالت من حولي ، بينما أنا مندفع في هذا الطريق المنفرد في هذه الشقة من الأرض . وكانت تهزني لدى رؤيتها بعض الذكريات فأقبس لنفسي فرحاً مسروراً ... على أن من رأي

الثاني ذى الشرفة المظلة على النهر . كل هذا كان
بحوطنى ، وكنت شاعراً بكل جمال فيه أو مظنة
لجمال . غير أنى كنت أشعر بفراغ كبير من حولى
فقد فقدت هذه الشقة جزءاً كبيراً من شخصيتها ،
حقاً ! إنك لم تكن لتتذوق جمال المكان إذا كنت
لم تعرف عم « حمدان » و « هندوان » ! !

وترافعت أمامى الأشكال والصور سريعة
تتواكب : فهما هو ذا عم حمدان ينقلنى إلى البر وينقل
الناس إلى القرى المحيطة ، لا يقعد به تقدم السن عن
ذلك ... وهما هو ذا فى يوم الخميس لا يكاد يحك جلده
من كثرة عمله ، إذ اليوم سوق المدينة ، وهما هو ذا
يتصيد فى عرض النهر بشباكهم شيطاً قوياً ...
ها هو ذا فى الليل نائماً فى أرغوله الخنون ؛ ثم فى صباح
الشتاء المابس ، يسبح فى النهر ، ولا تكاد ترى
إلا رأسه الأشيب ، ووجهه المربى قوى الملامح ،
ولحيته الشهباء يتحلب منها الماء ... وهندوان
اللطيفة الناعمة ... هاهى ذى تملأ الجرة مع
الفجر وأبوها يستحم ! فلا تقوى ساقاها الليطقتان
على حملها هى وجرتها الصغيرة ... هاهى ذى غادية
مع الصباح فى ذلك الطريق الأشجر إلى قرية (د ...)
تسير صامتة حزينة على نغم الخللخال الفضى المربىض ؛
ثم هاهى ذى تلقاك باسمه خفرة ، ولكنك تلمح فى بسمتها
شيئاً من الأسى الدفين ، تقرؤه فى زمة شفيتها
اللساوين ؛ وعلى وجهها إشراقة الروح المذبذب
يتراءى لك فى سحابة خفيفة تظلل وجهها الصبوح
الأسمر ، وعيناها الواسعتان المسحطتان ، وأهدابها
النضيفة الوطفاء ... كل هذا كان مليئاً بالسر
الحزين الكبير ! ...

وقطع على جبل التأملات صوت الزورق ينهينى

ودفع الزورق فى عرض النهر بساعديه المفتولتين
وظفنى يضرب النهر بمجدافيه فيزيد صوت التظامهما
بالماء هذا الشهور الرخى فى نفسى ؛ وكان شعوراً
محيياً من السرور يشوبه نوع من الحزن . فقد تموت
أن ينقلنى عم حمدان إلى الشاطئ الآخر ، وخالجتنى
الحزن بقوة لا أدرى لماذا . فقله كان من أغراض
رحلتى - دون أن أعلم - أن أتمتع برآه هو وابنته
« هندوان » . فحزنت لأن جانباً من رحلتى لن
يتحقق . على أنى - والله - كان بي شوق إلى
الرجل وابنته . فقد نمت بيننا الألفة رغم أبهى القصيرة
التي قضيتها عند صديقى منذ عام .

ولأمر ما التفت نحو الشاطئ حيث كان يسكن
وابنته فى كوخ هناك لا يبعد كثيراً عن آلة الماء .
هاهى ذى آلة الماء قاعة لا تزال ، وهاتان الصفصافتان
مازالتا ، وتحت الثانية كان الكوخ يقوم . ولكن
أين الكوخ ؟ ... حقاً كان هناك شيء لم أتبينه ،
فلعله هو . نعم هو ... فقد تجلّى لى من موضعى
الجديد . إنه محطّم ، وخاصة مؤخرته كأنما دكّتها
صاعقة . وبدأ لى جانبه المجاور للنهر محطماً مهدوماً ،
ورأيت الطحلب الأخضر قد علا وصيده الحجري
والدرجات الهابطة منه إلى النهر ، والنافذة التي أراها
الآن محطمة ، وسما الكوخ الغابى قد مال فى المؤخرة
إلى الأرض ، فكان الكوخ كلب أقمى ... ترى
ماذا حل بالكوخ ؟

وكان الزورق ينزلق على صفحة الماء المذهب
فى سرعة وخفة ، والجو جميلاً قاتناً ، والطيور تثب
من حولى على غصون الشجر رائحة إلى أوكارها ...
وهنا على الضفة الأخرى كانت تقوم محلة صديقى .
بل هذا منزله مستشرقاً بين المنازل المتواضعة بطابعه

وثبت نظري على الكوخ ، والتفت إلى صديقي قائلاً :

— أين راح عم حمدان ؟

— إنه الآن بانس مجنون

— مجنون !؟ منذ متى ؟

— من ثلاثة أشهر

— وإلى أين ذهب ؟

— إلى حيث لا أدري ، ولكنه يغشى المكان

بالليل كثيراً

— ولماذا جن ؟

— قلت لي لماذا . حسن !

هبط عم « حمدان » وابنته - اثنتين لا ثالث لهما - هذه الشقة من الأرض قبل أن أبتنى هذا المنزل هنا . وأكبر الظن أنهما هبطاها قبل أن يبجها محراث ، أو يشقها ماء . ولم يكن أحد يعلم من أمرها أكثر من ذلك . اللهم إلا أنه عربي ناهز الخامسة والخمسين ، وأن له خبرة - ككل عربي - بأمراض الغنم وأصوافها . فكانوا يقصدونه لاستشارته ، وأنه أشبل

على ابنته الوحيدة التي يحبها جداً

ولا أدري كيف ومتى أوحى للعم « حمدان » أن يتخذ الزورق حرفة له . ولكنني أتيت فألفيته يحمل الفلاحين والتجار الذين يأتون من القرى المحيطة للاشتراك في سوق المدينة يوم الخميس . ولا تحسب أنه لم يكن ينل كثيراً من عمله في تلك الشقة المنزلة من الأرض ، كلا فقد كان دائماً في عرض النهر راحاً جاثياً يتغنى بأغانيه الريفية طوال النهار ؛ وكانت ابنته تنام مبكرة ، ولكن أباهما كان يخلو إلى نفسه بالليل بعد أن يطمئن عليها مراراً ومرات . ويحتجى بعد ذلك بالنار ، سواء في ذلك لديه الصيف والشتاء ،

أنا قد رسونا ، فغابت عن ذهني كل التأملات كما غابت الشمس من وراء الأفق . ونقدت الفتى أجراً ، وقفزت إلى البر يحدوني الشوق ويفذ من خطاي ... وما انفتح الباب حتى غبت في أحضان صديقي الواسعة ، ولم أفلت منه إلا بعد لأي . واندفع يثرثر ويبحار بمنجرتة القوية ، ويقفز هنا وهناك بجسده البدين . وجادت قريحته ، وفرحت نكته . وأعداني بمرحه فطفقت أضحك حتى دمت عيناى ... وكانت الأحداث متتابعة مبتورة مسرعة . إذ كانت تثيرها ذكريات مشتركة متفرقة من عهد التلمذة ، وبدء التوظف والتغرب ؛ وتدير دفنها ميول متواقفة وأمزجة متحدة في سرعة وخفة . فهي تخرج بنا إلى حادث ما فترينا منه لمحة ، وتخرج بنا على ثان وثالث ورابع ... وتناولنا طعام المشاء وأثقل على صديقي فأفرطت في الأكل إفراطاً يمت في جسدي الخدر والاسترخاء ؛ فاستلقيت قرب النافذة أستروح النسيم العذاب . وكان القمر يلتمع في سماء الصيف العسيلة الرائعة

وكان السكون منعقد في الخارج لا يشوبه إلا عواء ذئب أو نقيق بوم . وبعد مدة من الصمت صاح بي صديقي :

— ما لك قد سكت ...

فأجبت : لا شيء .

وعاودت النظر إلى البرية ، وفي نفسي قلق الباحث عن شيء ما ، وكان سكون المكان يشغلني على ويبدولي غريباً . وملكتني وحشة لم أدر كنهما ... فلو أن نوتياً مرّ ففنى وأقلق ذلك السكون ، أو أن كرواناً مزق هذا الحداد ، أو داعب عم « حمدان » أرغوله بأمامه الدفاق ! ولكن لا شيء من هذا !

وكثيراً ما كانت تسهر فتمضي الليل ناظرة من نافذة الكوخ في تطلع وحزن مصعدة بصرها بين النجوم في حيرة وتنهّد . وقد يدخل أبوها فيراها على حلقها هذه ، فتطحن على نفسه الكآبة ويفشاء الحزن ، ولكنه ما يلبث أن يسري عن نفسه ، ويضاعف حبه لها واهتمامه بها ليصرف عن نفسه أفكاراً تخاصمه من حين إلى حين .

كان يزداد بها كلفاً ، وهي تزداد نحولاً وحزناً . وكان يتساءل فيما بينه وبين نفسه مالها تزداد كل يوم حزناً ونحولاً . ما للمرح قد تولى عنها ، وما لشفتها الضاحكتين قد زمنا ، وانطفأ بيمينها الكحللتين الواسعتين بريق غريب ؟ ما بالها تلك البنية ... ؟ كان أبوها بين حب لها يسمده ، وإشفاق عليها يشقيه ؛ فكان مثلها يتعزل الناس ، وينصرف إلى أرغوله بينه لواءجه وأشجانه فيحليها حزناً رخيماً ينساب به مع الليل ... في هذا الكوخ الوحيد كان يعيش روحان وحيدتان همرتان . روح أثقلتها السنون ، ونالت منها الأيام ؛ وأخرى شابة تخطت نحو الشيب خطوات وهمرت قبل الأوان ... كانا نجمين كليّين وحيدتين يهبان في سحاب ثقال

وأكبر الظن أن الفتاة كانت تروض نفسها رياضة ، وتحمل نفسها حملاً على الرضا بما هي فيه من ألم وحرمان ؛ فقد كانت تحب أباهما الحب كله ، وتشفق عليه كل الإشفاق . ودت إذن لو تستطيع أن تحمل نفسها على أن تستمض به عن الزوج والولد ؛ وأن ترضى بحبه ما يجيش في صدرها البكر من أحاسيس مبهمة ، ومشاعر غامضة ، وأن تجد فيه ما يسبح إليه الخيال في ليالي الشتاء الطويلة الحزينة الباردة

فينفخ في أرغوله المرن ساعات ، أو يغني بعض أغانيه التي سمعناها من قبل ؛ أو يداعب حظه في « السجدة » مع أحد أضيافه ، أو يفرز الصوف في صمت وتفكر وبين يديه الشاي العربي على النار يغلي . وأكبر الظن أنه لم يكن يشغل ذهنه إذ ذاك إلا ابنته لأنه كان يقوم من آن لآخر ليرى ابنته ويطمئن على غطائها جيداً . كانت هذه حاله جل الليل ، فإذا ما داعبه السكري قام فتطرح إلى جنب ابنته على أن يصحو مع الفجر !

أما « هندوان » فكانت واهنة تنال الموت شقية تجالده الألم ! كانت روحاً منزعجة تألف الحزن والوحدة وكان أبوها يحبها حباً ملك عليه كل حواسه . فلم يكن يحيا إلا لها وبها بعد أن أشبل عليها فلم يتزوج ؛ وكان يرضى بها على العمل وشقوته . ولم يكن يتوانى في قضاء ما تهفو إليه بنية إسعادها . ولكن ضعف الفتاة وهزالها كانا يفرغانه ويزيدان عطفه عليها وإشفاقه . فلم يكن يستريح في سهرته الطويلة إلا بعد أن يطمئن عليها نحو خمس مرات . حقاً لقد كان يمزها لإعزاز أصامتة يبدو في حركاته ونظراته أكثر مما يبدو في كلامه .

وكانت الفتاة رغم هذا تضحك وتندوي كالزهرة حرمت الغذاء . فقد كانت نفسها تتطلب شيئاً آخر ، كانت تعصف بها عاصفات من الحنين والألم كثيراً ما جعلتها تسخط على أبيها المعجوز ، وكثيراً ما كان خيالها يسبح وهي جالسة أمام المدفأة الصغيرة في ليالي الشتاء فيصور لها ما تهفو إليه من رؤى السعادة والهناء . كانت حزينة تجتر أحزانها في ألم وسكون ، وأبوها يرقبها في حنان ، ويبذل كل ما يستطيع ، ولكن الفتاة كانت تنفر من كل شيء حتى من عطف أبيها .

وأبها فأقامه وأقدمه . فلم يرَ نائحا في أرغوله ،
ولا مستويا أمام ناره ، ولكن موليا شطرها الطريق
بصره الحديد . وبعد هزيع من الليل عادت مقرورة
مضطربة ، ترتعد من البرد ، وتقضض من الزمهرير .
فتلقفها أبوها في صدره المريض المجوز ولكنها
كانت محمومة ترتعد . فدلقت إلى الكوخ ، وازملت
بكل ما يصلح للتزمل والغطاء . وأوقد أبوها الدامع
نارا في الكوخ ، حتى يبعث الدفء في المسكن
ذى الحجرة الواحدة . على أن ذلك لم ينف شيئا من
رعدة الحمى إذ تملو جسدتها اللطيف إلى حين من الليل
وبانت هاذية ...

وقال سديق :

وكان العم « حمدان » لا يستريح لأحد من
جيرتنا قدر ما يستريح إلى . فدعاني ليلة لأعود ابنته
فليت وأسرت إلى الكوخ لهفان مشفقا . وكان
ظاهرا لي أنها حى . هذا حسن ! ولكن أى نوع
من الحمى ؟ لم أكن أدري . غير أنى كنت أعتقد
بأنه إن كان للحمى أن تزور مثل هذا الجسد اللطيف
الواهن فلا بد أن تفرق به فترسل إليه أسهل الأنواع
وأرقها . وجلست حيا لها وهي منسرفة مسبوة ،
يتقد جسدتها بنار الحمى ، ورأسها بدوار الهذيان .
كان وجهها بظالمى ملهبا ، وأنفاسها تهب على
مبهورة ... وغمرتنى حيا لها لجج من التفكير المحزن
فما من شك أنى كنت أعطف عليهما معا . ولكننى
كنت أشعر نحو الفتاة خاصة بنوع من المطف
القوى ، والإشفاق العميق . فإنه يمز على المرء أن
يفقد هذه الريحانة في صحراء مقفرة من الرياحين .
فهذه هي ممددة على الفراش ولا عاصم من الموت ،

ومضت الأيام على ذلك ترى والحال هو الحال .
فقد كانت تقوم على شئون الكوخ البسيطة القليلة .
وكان أبوها يذرع النهر بقاربه ويتصيد ؛ وكان
يجلس كل ليلة إلى ناره وأرغوله المرن الصالح .
وقد كان يمتز بها الاعتزاز كله ، فهو قد جمع فيها
آماله ، وركز فيها أهله ، وكانت الأيام لا تزيد بها
إلا حبا ، وكانت الأيام لا تزيد إلا تمسكا بها وكلفا .
وقد كان أبوها يرفض كل يد تتقدم إليها ما في ذلك
ترث أو نظر ، وما في ذلك من تفريق أو استثناء .
فقد جاء إليها غاطبا فلاح موسر من قرية د ...
هذه ، وهو يملك خمسة أفدنة فرفض ، وتقدم إلى
أبيها عربى من محلة ... فرفض . ولعله رفض بعد
ذلك أناسا ، ولعله رفض قبل ذلك آخرين . وقد كان
ينتحل في كل مرة عذرا متها لكأ لا يكاد يتناسك ،
وهندوان صامتة حزينة ساهمة ، كأنما الأمر أسمى
لا يمنبها فى شيء ، أو أسمى يتعلق بأخرى غيرها ...
وما كان عم حمدان يزداد في كل مرة إلا حبا لها
وتشبتا بها ، ورغبة في إسعادها . وما كانت الفتاة
ترداد في كل مرة إلا شحوبا وحزنا ، وما كانت
ترداد إلا نفورا وانقباضا وبأسا . والآن ما أشد
حزنه حين يرى الفتاة تذوى وتشحب ، وما أقلق
قلبه إذ تمزله وتستغلق منظوية على نفسها بما في هذه
النفس من آلام ولواعج . وما أشد رغبته أن يهيجها
ويسعددها ، ولكنه لم يكن يملك من الأمر شيئا ...
طلب لها الطب العربى فما أفاد ، ووسع عليها في الزينة
واللباس فما أفاد ولا أجديا . ورضى بأن يفدق عليها
من حبه وحنانه وبره ما قد يرفه عنها بعض ما نجد
وفى ليلة من ليالى الشتاء الحزينة تأخرت
« هندوان » في قرية (د ...) إلى حد كبير ، ألقى

عيناي لهذا البؤس الذي أرى . ولكن المم حمدان
أماى جازع فزع ، لا ينى عن البكاء أو المواء !
فقد كان يبكي كالطفل ، ويموى كالذئب ، بل
كالكلب العليل . وكانت أول مرة أرى فيها شيخاً
يشيح نشيج الأطفال ، ويجزع جزع الشكالى .
فطفقت أخفف عنه ما يجد يعض المزاء ، بل بكل
المزاء الذى أملك . ولكن ذلك لم يكن ليحول بين
ذراعيه البائستين وبين أن يلوحا فى الهواء كأنهما
يهددان ما لا أرى من شخص أو شيء أو شبح ،
أو يحول دون أن يموى عواء مؤلماً كبيراً :

— رب ! ماذا فعلت لكل هذا ؟

فكأنما الكارثة لم تحل بساحته إلا لذنوب جناه
وكأنما هي قصاص !

— ماذا فعلت حتى تجازينى بهذا ... ماذا فعلت

يا رب ! !

وكان عمى حمدان حريصاً كل الحرص على أن يشيح
بوجهه عنى . فكأنما هو خجل من أن أراه على حاله هذه
ولكنى تأملت الرجل من دموى الواكفة وقد
كنت أحس كأنما هو يخفى عنى شيئاً هو مبيت
كل هذا الجزع والحزن وقد شعرت بأنه يخفى عنى بينه
وبين نفسه جريمة ما يحرص كل الحرص على ألا يذيع
من أمرها شيئاً . فلعلة كان يحس بأنه هو الذى
أذوى شباب الفتاة بشيئه ، وحطم آمالها بأمانيته ،
وقتل قلبها بفرامه ، ولملة كان يحس بأكثر من
هذا ، بأن ما حل بفتاته لم يكن إلا سخرية من أمانيته
وتشبهه ، وقصاصاً على حساب من يهوى ويحب .
أدركت ذلك كله ، وخشيت منه على المم حمدان أن

وما هو ذا عمى « حمدان » ساهماً جزءاً لا يملك لها من
الأمر شيئاً ، أكله فلا يجيب ، وأحاده فلا ينى .
وما هو ذا يحدق فى « هندوان » جهد البصر الزائع ،
ويتمتم لنفسه كلمات لا أسمع منها شيئاً . ثم ما هو ذا
يفض من بصره إذا ما تلاقى بنظرات الفتاة الدنقة
ومضى على مرضها أيام عدة لا يخرج فيها عم
حمدان من الكوخ لينقل الناس أو ليتصيد . ولم يكن
يؤثر النار ، أو يدبر على الكون أرغوله . وبعد
هدأة طويلة من إحدى الليالى جاءنى أغبر الوجه ،
أشمت الشعر مصفراً . فقلت له وجلاً :

— خيراً يا عمى حمدان ؟

فأجابنى فى صوت عميق :

— « هندوان » !

— مالها ؟

وأجاب صرختى بكاء يكأه المعجوز ، فيأبى
إلا الجهر والعلانية ، ودمعت كالحصاة الكبار
تنحدر على خده الأسمر . وتأملت الرجل فى حزن
وفزع ، فإذا بالممرقد قفز به إلى أمام عشرة أعوام
تفرض فيها وجهه وأحنى ظهره تحت عبثها الثقيل .
وفى الكوخ كانت « هندوان » ممددة على الفراش
بقامتها الرشيقة وصدرها البكر ، ووجهها الحالم يحفها
سكون الموت ، ويضمها جلال الفناء . كانت شيئاً
جميلاً ازدانت به شقة من الأرض ، وعاش من أجله
شيء عجوز . كانت نجماً وحيداً غرب سريماً فى صمت
وجلال ، فأظلمت لغروبه شقة منزلة من الأرض ،
وأفقرت نفس عجوز ، وأحطم زورق عتيق ؛ ودمعت

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

سمحه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زكّاني

نخبة ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

صدرت الطبعة الجبيرة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

يرهقه هذا الشعور ، ويثقل عليه ، ولكنه كان
يحاول أن يروض نفسه على الرضا فلا يقدر ، وأن
يقهر نفسه على التسليم فلا يستطيع ؛ وكان التفكير
في ذلك يفرقه في ذهول عميق . وما أظنه كان يفكر
في شيء غير هذا إذ بيت أمام كوخه يشعل النار
وينفخ في الأرغول ، وإذا هو يصرخ في أرغوله
صرخات جازعة ملتاعة هي دون شك سدى آلامه .
وما أظنه كان يفكر في شيء غير هذا إذ يقضى
سحابة يومه محذقاً في مياه النهر المتدفقة لا يكلم
أحدًا فكأنما ختم على فيه . وأكبر الظن أن آلامه
كانت تتجسد على صفحة النهر وأن أشباحاً مفرقة
كانت تتراقص على أمواج الماء المتدفق المترحل إلى
آفاق بعيدة نائية

وعلت وجهه الصفرة ، واحتوى جسده الجزع
وتعشت في جلده الغضون ، والتمت عيناه بيريق
غريب مذعور لا يثبت على شيء ، ولا شيء يجتذبه .
وشاع بين الناس أن مساً أصاب حمدان
ثم ترك الزورق ، وهجر الكوخ ، وذهب

— إلى أين ؟

— لا أدري ولكنه ينشئ هذا المكان بالليل

كثيراً ...

وصمت ، وصمت . وانسدل يثناستار من السكون
كثيف . وبعد برهة صاح بي : « ما بك ؟ » غير
أنى صحت به : « صه ! » فقد كنت ألقى السمع إلى
أمان أرغول تغالب البعد السحيق

السيد محمد العزاري